كيف فشلت تجربة الازدواجية في لغة التعليم بالمغرب العربي - 2 -

ادريس الكتاني

استاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

أثبتنا في العدد الاول من هذه المجلة حقيقة علمية ، وهي ان ازدواجية لغة التعليم ، في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، امر لا يقره أي نظام من انظمة التربية والتعليم في العالم اجمع ، وانما هو ابتكار استعماري فرضته فرنسا في اقطار المغرب العربي والهند الصينية ، كوسيلة لجعل لغتها شريكة فعلية ورسمية للغات القومية في مستعمراتها السابقة ، واحلال ثقافتها محل الثقافات الوطنية لهذه البلدان ، اذ في تحقيق هذا الهدف ضمان لاستمرار وجودها وسلطانها على هذه الشعوب .

ومع ذلك ، فان المغرب نهج منذ استقلاله سنة 1956 نفس السياسة رغم اخطارها على لغته وشخصيته وثقافته القومية ، وبالرغم عن الفشل الذريع الذي منيت به هذه السياسة ، سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال .

وقبل أن نتحدث عن النتائج الخطيرة لهذه التجربة يجب أن نشرح الوضع اللغوي لسكان المغرب العربي عامة، وسكان المغرب خاصة .

يقدر الكاتب الفرنسي روبير مونطاني في كتابه « حضارة الصحراء » (La civilisation de désert) المطبوع سنة 1947 ، نسبة المتكلمين اصالة باللغة العربية في المغرب بـ 50٪ وفي الجزائر بـ 65٪ ، وفي تونس بـ 98٪ في المائة ، وهذا التقدير يبدو أنه قريب من الواقع ، اذ لا يوجد لدينا احصاءات لغوية أو خريطة لغوية حتى اليوم ، والذين يتكلمون العربية في المغرب هم السكان الذين ينحدرون من اصل عربي أو بربري مستعرب ، أو ممن اسلموا من الاسبان واليهود واستعربوا استعرابا كاملا منذ عدة قرون ، وكذلك الاقلية اليهودية ، اما 50٪ الباقية فانها تتالف من السكان الاصليين الذين يتكلمون لهجات مختلفة ، اهمها تمازيغت وتشلحيت ، ويتكلمها سكان الاطلس والسوسية وهي لهجة سكان سوس ، والريفية وهي لهجة سكان الريف ، ويمكن القول بأن نحو 50٪ من مؤلاء السكان ، (أي 25٪ من مجموع سكان المغرب) يتكلم الى جانب لهجته الاصلية اللغة العربية كلغة اصلية ثانية ، وان كانت غلبة استعمال احداهما على الاخرى تختلف من اقليم الى آخر .

وبناء على ذلك يمكن تقسيم السكان لغويا كما يلى :

50٪ يتكلمون العربية فقط

25٪ » » ولهجة اخرى

25٪ » لهجات بربرية مختلفة .

في بلد هذا هو وضعه اللغوي ، تقوم المدرسة المتفرنسة لتفرض على الاطفال الذين هم بين سن 7 ـ 12 اي على :

50٪ من الاطفال الذين يتكلمون لهجة عربية عامية .

و 25٪ » » » بربرية واخرى عربية .

و 25٪ من الاطفال الذين يتكلمون لهجة بربرية فقط .

تفرض على هؤلاء الاطفال جميعا أن يتعلموا ـ بالاضافة الى لغة أو لغتي تخاطبهم ـ العربية الفصحى

واللغة الفرنسية ، وان يتلقوا المواد الدراسية أو بعضها فقط باللغة العربية ، ونصفها الآخر باللغة الفرنسية . مع العلم بأن اللغتين تختلفان أصلا ونطقا وكتابة ، كما تختلفان في خط السير ، فالعربية تبدأ من اليمين الى اليسار ، والفرنسية بالعكس .

وهكذا يفترض مشرع هذه المدرسة أن الطفل المغربي – على خلاف أطفال العالم أجمع – مستعد في هذه السن المبكرة لتعلم لغتين تختلفان عن لغته أو لغتي تخاطبه ! وتلقني العلوم بهما في نفس الوقت ! وهذا الافتراض اذا صح ونجح بالنسبة لعدد ضئيل لا يتجاوز على أحسن تقدير 10٪ هم أصحاب الذكاء الفائق ، فانه عمليا وواقعيا باطل وفاشل بالنسبة لـ 90٪ من عموم الاطفال ذوي الذكاء العادي .

ويجب أن نشير هنا الى أن الفرنسيين انفسهم في عهد الحماية لم يومنوا قط بازدواجية لغة التعليم كمنهج تربوي صحيح ، اذ لو كانوا يومنون بذلك لطبقوه في بلادهم أولا ، ولأدخلوا تعليم الانجليزية مثلا في مدارسهم الابتدائية ، وانما كان هدفهم الحقيقي هو احلال لغتهم محل اللغة القومية كما فعلوا في جميع مستعمراتهم ومحمياتهم السابقة ، بدليل أن حصة اللغة العربية والدين في المدارس المغربية ، لم تتجاوز 20 دقيقة في اليوم عند ابتداء الحماية ، وطوال ربع قرن (1912 – 1937) واذا كانت هذه الحصة قد ارتفعت الى 50 دقيقة خلال سنوات (1937 – 1945) ، ثم زاد ارتفاعها بعد ذلك فلم تحل نهاية 1955 – التي انتهت معها الحماية – حتى بلغت ساعتين ، اي ثلث الحصص اليومية ، فان هذا الارتفاع قد حدث تحت ضغط الحركة الوطنية الشعبية ، ولا علاقة له اطلاقا بما سمي بعد الاستقلال بـ « ازدواجية لغة التعليم »

وليس من الغريب أن نلاحظ هنا أن صورة الكفاح بين المغرب العربي والاستعمار الفرنسي ظلت تنعكس باستمرار على سياسة التعليم ، واذا كانت الحركة الوطنية قبل الاستقلال قد استطاعت أن ترفع الحصة التي تلقى بالعربية من 20 دقيقة الى ساعتين في اليوم ، فان عهد الاستقلال – بأعوامه التسع – لم يزد على ذلك الا ساعة واحدة حيث أصبحت نصف المواد تلقى بالعربية في التعليم الابتدائي ، والنصف الآخر (المواد العلمية الاساسية) يلقى بالفرنسية (1) وهذه (الازدواجية اللغوية) الغريبة لا تقوم على أساس علمي أو تربوي كما رأينا من قبل ، وانما هي بدعة استعمارية يمكن تصنيفها في اطار :

1 – « الجنسية المزدوجة » التي طالب بها الفرنسيون المقيمون في المغرب ليلة الاستقلال لتكون لهم حقوق الجنسية المغربية ، بالاضافة الى جنسيتهم الفرنسية !.

2 – « الحكومة المزدوجة » التي ألفوها فعلا من وزراء مغاربة وفرنسيين ليلة الاستقلال ايضا ، تطبيقا لمبدأ « السيادة المزدوجة » .

وبالرغم عن فشل المحاولتين السابقتين ، فانهم لم يلبثوا أن ابتكروا صبيحة الاستقلال « مذهبا جديدا » في سياسة التعليم قدموه هدية للمغرب المستقل ، فكان هو : « اللغة المزدوجة ! »

ومما لا شك فيه ان هذه السياسة تهدف لخنق أنفاس اللغة العربية تدريجيا ، وبصفة مباشرة ، ومحاربة الاسلام وحضارته عن طريق حرمان الشعب المغربي من تعلم لغته القومية التي هي لغة القرآن .

وقد برهنت تجربة « الازدواجية اللغوية » هذه على فشل كامل سواء في ميدان التعليم أو التربية بل انها ادت الى نتائج في منتهى الخطورة بالنسبة للتكوين القومي والخلقي والنفسي للاجيال المغربية ، ولكي نتأكد من فشل هذه التجربة فشلا كاملا ، نشير الى النتائج الخطيرة التي انبثقت عنها ، والتي يعاني الشعب منها أشد النكبات :

1 – من الوجهة التربوية :

أ – ينفصل كل سنة عدد هائل من التلاميذ من جميع الاقسام الابتدائية بسبب ارهاق التلاميذ وتحملهم من المواد الفرنسية والعربية وازدواجية لغة التلقين ، فوق ما تتحمله أعمارهم الصغيرة ، وفوق ما تطيقه استعداداتهم الفطرية للتحول النفساني في الساعة الواحدة ، من جو

---

(1) في المدارس الثانوية لا تتجاوز حصة العربية الثلث ومادة التاريخ والجغرافية تلقى بالفرنسية

لغة صعبة تكتب بحروف تبدأ من اليمين ، الى جو لغة صعبة تكتب بحروف مختلفة تماما وتبدأ من اليسار ، وكلاهما يختلف عن اللغه التي يتخاطب بها الطفل في بيته ، ولا يخفى المعلمون المغاربة وحتى الفرنسيون هذه الحقيقة، فالتلميذ المغربي يطلب منه أن يكون في مستوى التلميذ الفرنسي في اللغة والمواد الفرنسية والعلمية كلها ، وفي نفس الوقت يطلب منه أن يتعلم اللغة العربية والعلوم الاسلامية . (وهو الشيء الذي لا يطلب من التلميذ الفرنسي ولا من اي تلميذ في أية مدرسة في العالم) وبما أن هذا فوق طاقة التلميذ العادي فانه يجد نفسه مرغما على اعطاء الاسبقية لدراسة اللغة الفرنسية ذات المواد الاساسية في الامتحانات . وكثيرا ما يتكرر سقوطه في الامتحانات فيضاعف السنوات الدراسية ، وينتهي أمره بكراهية المدرسة وفراره منها ، أو طرده منها اذا أرغم على البقاء .

ب ـ يبلغ معدل التلاميذ الذين ينفصلون عن الدراسة كل سنة من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي 25ر21٪ بينما يبلغ معدل الذين يكررون أقسامهم في نفس الوقت 25ر25٪ . وهذا يعني أن نسبة الذين يرسبون كل سنة في امتحانات الانتقال في مجموع سنوات التعليم الابتدائي تبلغ 50ر46٪ ، نصفهم تقريبا يغادر المدرسة نهائيا تحت عامل اليأس من النجاح في المستقبل ، أو يفر منها بالرغم عن ضغط والديه لانه لم يتحمل اطلاقا صعوبة منهاج التعليم ، أما النصف الآخر فانه يرغم على تكرار السنة الدراسية ، وبهذا التكرار ـ ولو مرة واحدة ـ يتعرض التلميذ لخطر رفض قبوله في التعليم الثانوي بسبب كبر سنه ، الذي كثيرا ما يكون سببه تكرار السنوات !

ان الارقام المذكورة آنفا عن معدل المنفصلين والمكررين ومجموع الراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي، شيء لا يكاد يصدقه العقل ، ولا يوجد له نظير في أي تعليم في العالم ، وهي لا تدل فحسب على فشل سياسة التعليم، وارهاق الاجيال المغربية التي يضيع عمرها سدى في تعليم عقيم لا ينتج شيئا بالنسبة للاموال التي تضيع فيه ، والتي تبلغ 20٪ من الميزانية العامة للدولة !!

على ان الامر لا يقتصر على التعليم الابتدائي ، فازدواجية لغة التعليم هي السياسة التي يتحطم على صخرتها مئات الآلاف من التلاميذ كل سنة ، سواء في مرحلة التعليم الابتدائي أو الثانوي ، فالذين اجتازوا صراط التعليم الابتدائي بسلام ، ينتظرهم في الثانوي أيضا مصير حالك قل من بينهم من ينجو منه :

6ر20٪ من مجموع تلاميذ الثانوي ينفصلون عن الدراسة كل سنة !.

15٪ يكررون أقسامهم في نفس الوقت كل عام !

6ر35٪ مجموع الراسبين كل سنة !

وكما كان الحال في الابتدائي ، فان تكرار الاقسام في الطور الاول من الثانوي يعرض التلميذ ـ مرة أخرى ـ لخطر رفض قبوله في السنة الرابعة من الثانوي اما بسبب كبر سنه واما لتكرار الاقسام !

وفي الجداول التالية صور ناطقة بالارقام عن نتائج هذه السياسة ، مستخلصة من البيانات الرسمية الواردة في التصميم الثلاثي (2)

نسبة المنفصلين والمكررين والراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي :

الاقسام	نسبة المنفصلين	نسبة المكررين	نسبة الراسبين
الابتدائي 1	5٪	18٪	23٪
الابتدائي 2	8٪	20٪	28٪
المتوسط 1	12٪	23٪	35٪
المتوسط 2	20٪	40٪	60٪

وبناء على ذلك يكون المعدل العام للمنفصلين والمكررين والراسبين كل سنة في التعليم الابتدائي كما ايلي:

معدل المنفصلين كل سنة	25ر21٪
معدل المكررين »	25ر25٪
معدل الراسبين »	50ر46٪

(2) ص 10 والجداول التالية من القسم 7 . و ص 12 ـ 27 ـ 28 ـ الجداول التالية من القسم 3 .

وفي التعليم الثانوي :

السنوات	المنفصلون	المكررون	الراسبون
قسم الملاحظة	٪4	٪3	٪7
السنة 1	٪10	٪10	٪20

بعد هذه السنة يوجهون للتعليم المتوسط او الطويل نسبة المنفصلين والمكررين والراسبين في التعليم الطويل :

السنة 2	٪7	٪15	٪22
السنة 3	٪20	٪25	٪45
السنة 4	٪26	٪10	٪36
السنة 5	٪10	٪8	٪18
السنة 6	٪33	٪17	٪50

وبناء على ذلك يكون المعدل العام في الثانوي كما يلي :

المعدل العام في قسم الملاحظة والسنة 1 :

معدل المنفصلين كل سنة	٪7
معدل المكررين «	٪6ر5
معدل الراسبين «	٪13ر5

المعدل العام في بقية الاقسام :

معدل المنفصلين كل سنة	٪19ر2
معدل المكررين «	٪15
معدل الراسبين «	٪34ر2

ويلاحظ في هذه الجداول انه بالاضافة الى نسبة الرسوب المتناهية في الارتفاع في سائر السنوات سواء في التعليم الابتدائي او الثانوي هي السبب المباشر في ارتفاع نسبة المنفصلين عن الدراسة ، والمكررين للاقسام ، عمدت وزارة التعليم الى تحديد نسبة الناجحين في الاقسام التالية :

40٪ من مجموع تلاميذ اقسام المتوسط الثاني (قسم الشهادة الابتدائية) هم الذين ينجحون وينقلون للاولى من الثانوي .

60٪ (من 40٪ السابقة) يوجهون في نهاية السنة الاولى من الثانوي الى التعليم المتوسط وهو تعليم مهني يقضي فيه التلاميذ عامين آخرين ثم ينقطعون عن الدراسة نهائيا !

40٪ (من 40٪ الباقية) هم الذين يواصلون التعليم الثانوي الذي يسمى بالطويل .

55٪ من مجموع تلاميذ السنة الثالثة (قسم الشهادة الثانوية) ينجحون في هذه الشهادة وينتقلون الى السنة الرابعة أما 20٪ فانها تنقطع عن الدراسة بعد رسوبها في الامتحان ، بينما 25٪ الباقية تكرر السنة على أمل ان تنجح في هذه الشهادة وتغادر المدرسة ، اذ لا يبقى لها أمل في الانتقال للسنة الرابعة بعد التكرار او كبر السن !

50٪ تقريبا من مجموع تلاميذ السنة السادسة ، يؤمل لهم النجاح في امتحان الثانوية العامة (البكالوريا) في أحسن الظروف ! بينما يتلاشى الباقون هكذا : 33٪ ينفصلون و 17٪ يكررون !

واذكر مرة اخرى بأن التصميم الثلاثي يقول عن التقديرات والارقام السابقة (3) :

« ان الحسابات النظرية مصدرها الاحصاءات الحقيقية التي سبق لوزارة التربية الوطنية ان قامت بنشرها في 1963 ـ 1964) ، فلا مجال اذن للشك في ان هذه الارقام مبالغ فيها ، اذ الحقيقة اشد هولا من ذلك كما سيتبين لنا فيما بعد .

ففي حي سيدي البرنوصي بالدار البيضاء مثلا وقع الاعلان عن نتائج امتحانات الشهادة الابتدائية بمدرسة البنات في يونيه 1964 حيث لم ينجح الا 5 تلميذات من بين 150 مرشحة تقدمن للامتحان ! مع أن مديرة المدرسة كانت فرنسية لا يشك المسؤولون عن التعليم في كفاءتها واخلاصها .

ومن البديهي أن هذه النسبة لرسوب التلاميذ لا ترجع الى أن الاطفال المغاربة اكثر كسلا او بلادة من أطفال اي بلد في العالم ، او أن ظروفهم التعليمية اسوا حالا من ظروف الآخرين ، بل هناك سبب عميق خفي ، هو هذا الارهاق الذي يعانيه التلاميذ المغاربة من برامج التعليم المضاعفة ، ولغة التعليم المزدوجة ، وما يتولد عن

(3) ص 10 من القسم السابع و ص 27 من القسم الثالث .

مكتبخانه ومركز اطلاع رسانى
بنياد دايرة المعارف اسلامى

هذه وتلك من مشاكل وتعقيدات تربوية لا حصر لها ، ولا طاقة للاطفال بها .

ج ـ من المعلومات والارقام السابقة تنكشف لنا حقيقتان :

ـ 30٪ فقط من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي يؤمل لهم أن يجتازوا عتبة التعليم الثانوي ! أما 70٪ فانها تتلاشى سنويا وتنفصل عن الدراسة قبل نهاية هذا التعليم .

ـ 3٪ فقط يمكن أن يصلوا الى التعليم العالي !

ولكي نبرهن على ذلك بالارقام أيضا ، يمكن أن نقدر مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي في سنة ما بمليون تلميذ (هو تقريبا عدد تلاميذ سنة 1962) ، وان نتتبع خطوات ومصير هذا الجيل سنة بعد سنة ، الى أن ينقطع عن الدراسة ، أو يصل الى التعليم العالي ، والجداول التالية تشرح لنا كيف يتناقص عدد التلاميذ ويتلاشى كل سنة ، بناء على النسب السابقة :

تناقص التلاميذ كل سنة في التعليم الابتدائي :

السنوات	نسبة المنفصلين	عددهم	العدد الباقي
1			1.000.000
2	٪21ر25	212.000	787.500
3	٪21ر25	167.343	620.157
4	٪21ر25	131.781	488.376
5	٪21ر25	103.777	384.599

فهذا الجدول يشير الى أن الجيل الذي يقدر بمليون تلميذ يتناقص عدده سنويا بمعدل 21ر25٪ حيث لا يبقى منه في نهاية السنة الخامسة الا 384.599 تلميذا هم الذين يفترض دخولهم الى الثانوي ، واذا نظرنا الى الواقع فاننا نجد أن العدد الذي يصل الى الثانوي هو أقل من ذلك بكثير ، ففي أكتوبر 1962 كان مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي يناهز المليون ، وبعد خمس سنوات سيتلاشى هذا الجيل بعد أن يقدم لنا نخبته التي ستحظى بالدخول الى الثانوي كل سنة من السنوات المذكورة ، والتصميم الثلاثي (4) يمدنا باعداد التلاميذ الذين نقلوا فعلا الى الثانوي في السنتين الماضيتين 1963 و 1964 ، والذين سينقلون في سنوات التصميم الثلاثي المقبلة ، وذلك حسب البيان التالي :

السنوات	التلاميذ المنقولون الى الثانوي
أكتوبر 1963	32.600
» 1964	60.000
» 1965	61.500
» 1966	64.000
» 1967	65.500
الجميع	283.600

هذه هي أعداد التلاميذ الذين نقلوا أو سينقلون الى الثانوي طبق احصائيات وتقديرات وزارة التعليم ، ولكن واضعي التصميم الثلاثي يفترضون نقل 2.000 تلميذ اضافي في كل سنة من سنوات التصميم الثلاثي الاخيرة لمعادلة الحسابات ! والذي يهمنا من هذا البيان الآن هو الاشارة الى أن العدد الحقيقي للتلاميذ الذين ينقلون فعلا الى الثانوي خلال خمس سنوات من مجموع جيل يبلغ عدده نحو مليون تلميذ ، تقل نسبته عن 30٪ ، واذن فانعدد الواقعي المذكور يقل عن العدد النظري السابق 384.599 بازيد من 100.000 تلميذ كما نرى ، وهذا يعني أن النسبة الحقيقية للذين ينقطعون عن الدراسة كل سنة في التعليم الابتدائي هي 27٪ وليست 21ر25٪ كما تتضمنه الارقام الرسمية الآنفة الذكر .

ونستخلص من هذا كله أن نسبة التلاميذ الذين يصلون الى الثانوي لا تتجاوز 30٪ من مجموع تلاميذ الابتدائي . وعلى ضوء هذه الحقيقة يستمر تناقص الجيل السابق في التعليم الثانوي طبق البيانات السابقة على النحو التالي :

(4) ص 6 . 12 . 27 من القسم الثالث .

تناقص التلاميذ كل سنة في التعليم الثانوي :

السنوات	معدل المنفصلين	عددهم	العدد الباقي	ملاحظات
			300.000	30٪ من المليون السابق
قسم الملاحظة	70٪	21.000	289.000	
سنة 1	70٪	20.230	268.770	
	60٪	161.262	107.508	60٪ توجه للتعليم المتوسط
سنة 2	20,6٪	22.100	85.408	
سنة 3	20,6٪	17.580	67.828	
سنة 4	20,6٪	13.970	43.858	
سنة 5	20,6٪	9.033	34.825	
سنة 6	20,6٪	7.173	27.652	يحصلون على الثانوية العامة

ومن المعلوم أن الذين يحصلون على الثانوية العامة (البكالوريا) لا يدخلون جميعا الى الجامعة ، فاذا قدرنا ان نحو 45٪ منهم يضطرون لمغادرة الدراسة الى العمل اما بدافع الحاجة للعيش أو لعدم الحصول على منحة لمواصلة التعليم العالي ، أو ينقطعون عن الدراسة خلال سنوات التعليم العالي لسبب ما ، وان 55٪ من الثانويين سيحملون شهادات جامعية ، ويبلغ عددهم في مثالنا السابق 15.210 فسنجد في نهاية المطاف أن نسبة 1,5٪ من مليون تلميذ (الجيل الذي ضربنا به المثل) بعد 16 سنة من الدراسة على أقل تقدير ، في حياة أمة بكاملها ، هي التي ستتخرج من الجامعة .

د ـ يعترف رجال التعليم وخبراء التربية جميعا بأن ازدواجية لغة التلقين هذه من أهم الاسباب في هبوط مستوى التعليم ، واستنزاف طاقة التحصيل لدى التلاميذ، حيث يفرض عليهم أن يوزعوا جهدهم ووقتهم على لغتين ووطنين وثقافتين ، وأن يدرسوا تاريخ وجغرافية وحضارة فرنسا (كوطن متميز قبل سائر بلاد العالم) في الوقت الذي يجب عليهم أن يدرسوا تاريخ وجغرافية وحضارة المغرب ، وهكذا !. ولكن بدل أن ينسب هبوط مستوى التعليم الى هذا السبب الاصيل (هناك أسباب ثانوية) ، ينسب عمدا الى (التعريب) .

هـ ـ مرت تسع سنوات كاملة أي منذ فجر الاستقلال على تجربة الازدواجية المتعادلة في توزيع الزمن ، في التعليم الابتدائي ، حيث خصصت 15 ساعة في الاسبوع لتعليم العربية والمواد الاسلامية بهذه اللغة ، و 15 ساعة لتعليم اللغة الفرنسية والعلوم بما فيها الحساب والاشياء بهذه اللغة ، وكانت النتيجة هي الفشل التام لهذه التجربة ـ اذا كان يراد منها حقا حصول التلميذ المغربي على معارف متساوية على الاقل ، وعلى مستوى متعادل ، في اللغتين معا ـ ، ذلك أن اللغة لا تنمو مع الطفل ، ولا تتسع معارفه بواسطتها الا عن طريق استعمالها ، وخاصة في الميادين العلمية ، فاذا فرضنا عليه أن يتعلم الحساب والاشياء وسائر المواد العلمية الاخرى باللغة الفرنسية فسيكون بطبيعة الحال مضطرا للالتجاء في احاديثه اليومية ، لانه لم يدرسها ولا عرف اسماءها الى الفرنسية للتعبير عن مدلولات هذه الاشياء ، حتى في اللغة العربية ، وهذا ما يحدث فعلا ، فهذه الافواج التي ساعدها الحظ بأن تصل في دراستها الى الاقسام الثانوية المتوسطة والعليا ، أصبحت لا تتحدث في الشوارع والمكاتب وحتى في البيوت الا بالفرنسية ، واذا هي تحدثت بالعربية فانها تتعثر وتضطر لخلطها بالفرنسية للتعبير عن المعاني التي تجهل كلماتها بالعربية ، فالازدواجية اللغوية هذه ـ والتجربة المشاهدة خير حجة ـ أصبحت تعني ازدهار لغة على حساب احتضار لغة أخرى !

و ـ من أكبر الادلة على فشل هذه التجربة أيضا ، انه لا يكاد يوجد واحد في المائة من بين جميع الذين أتموا

دراستهم الثانوية في المدارس الرسمية المزدوجة اللغة ، يمكن ان يقال انه يتقن اللغتين العربية والفرنسية انشاء وتعبيرا بدرجة متساوية ، وحتى متقاربة ، فاللغة الاساسية التي تحتكر تلقين المواد العلمية هي الفرنسية كما أسلفنا ، أما العربية فانها لا تمثل أكثر من دور الحصان الهزيل الطيع الذي ينقاد لزميله في جر العربة ، والعربة هنا هي المدرسة المغربية . واذا كان المغرب يتوفر على عدد محدود جدا ممن يتقنون لغتين أو ثلاث لغات انشاء وتعبيرا بدرجة محترمة ، فان الفضل في ذلك لا يرجع لنظام الازدواجية المذكور ، بقدر ما يرجع لذكاء هؤلاء الاشخاص ، ومجهودهم الخاص ، واذن فليس هناك ازدواجية لغوية حقيقية قائمة على أساس التساوي الكامل في المعرفة ، وانما هناك لغة أساسية رئيسية ، ولغة اضافية تابعة .

ز ـ بعد البيانات السابقة يمكن أن نتساءل :

ـ ما جدوى تعليم ينفصل عنه كل سنة 21ر25٪ من مجموع تلاميذه حسب الارقام الرسمية ، ويكرر اقسامه سنويا 25ر25٪ ، ويرسب في امتحاناته سنويا 46ر50٪ ؟!

ـ وما قيمة ادخال 800.000 تلميذ جديد في المدارس (5) اذا علمنا أن 265.625 تلميذا قد انفصلت عن التعليم في نفس السنة ؟! . وان الزيادة الحقيقية في عدد التلاميذ لا تتجاوز 34.375 تلميذا ؟!.

ـ وما قيمة تعميم التعليم اذا كان هذا التعليم لا يكون من الاطارات الجامعية الا نسبة واحد ونصف في المائة ؟!.

الحقيقة هي ان تعميم التعليم مع سياسة اللغة المزدوجة أصبح لا يعني الا شيئا واحدا هو تعميم الفرنسية !.

وهل يستطيع أحد أن يبرر لنا فائدة تعليم اللغة الفرنسية لـ 70٪ من التلاميذ المغاربة مع العلم بأنهم جميعا سينفصلون عن الدراسة خلال سنوات التعليم الابتدائي الذي لا يتجاوزونه أبدا ، من غير أن يتقنوا لا اللغة القومية، ولا اللغة الفرنسية ؟!.

وهل يستطيع أحد أن يبرز ضرورة التعليم باللغة الفرنسية لـ 28ر5٪ الذين ينتقلون الى التعليم الثانوي ، مع العلم بأنهم جميعا سينفصلون عن الدراسة أيضا خلال سنوات هذا التعليم الذي لا يتجاوزونه أبدا الى التعليم العالي ؟!.

اذن من أجل 1ر5٪ من مجموع تلاميذ التعليم الابتدائي الذين سيواصلون التعليم العالي المحتاج الى تعلم بعض اللغات الاجنبية ، نفرض على 98ر5٪ من مجموع هؤلاء التلاميذ أن يتفرنسوا منذ السنة الابتدائية الاولى ، ونعرضهم لجميع أخطار السقوط ، وتكرار السنوات ، والطرد من المدرسة ، وبالتالي الى ضياع عمرهم ومستقبلهم ، وتمزيق شخصيتهم القومية ، وتشويه ثقافتهم الوطنية ، وتبذير أموال الامة في سبيل ذلك ، مع أن النتيجة المحتومة هي فرنسة لغتهم وتفكيرهم !!!. ان أي عاقل مخلص لا يسعه الا أن يحكم على هذه الخطة بأنها ضد المصلحة الوطنية للبلاد . ولا تخدم الا المد الاستعماري اللغوي والثقافي والاقتصادي في المغرب .

2 ـ من الوجهة القومية والدينية :

«للبحث بقية »

---

(5) نسبة الزيادة الحقيقية للسكان في هذه السنة هي 412.000 نسمة كما تدل على ذلك التقديرات الرسمية ، وليست 300.000 فقط .